المحاضرة -14 -

عنوان المحاضرة:

٢- النفوذ السوفيتي في القرن الأفريقي — 2- Soviet influence in the Horn of Africa

الحرب الأمريكية في فيتنام — The American War in Vietnam

محتوى المحاضرة:

٢- النفوذ السوفيتي في القرن الأفريقي

اعتبر القرن الأفريقي خلال الحرب الباردة ذا أهمية استراتيجية لطرفي الحرب الذين حاولا جاهدين السيطرة على تلك المنطقة مستغلين الأوضاع السياسية غير المستقرة بين دول المنطقة، وتأتي تلك الأهمية من كون هذه المنطقة تطلّ على ممرات مائية مهمة تسيطر من خلالها على حركة الملاحة البحرية بين البحر المتوسط وخليج عدن ومنه إلى بحر العرب. فالمحيط الهندي عبر مضيق باب المندب. لذا فقد مثلت السيطرة على هذه المنطقة أو على الأقل تأمين الملاحة فيها هدفاً استراتيجياً لمختلف الأطراف.

ومنذ ستينات القرن العشرين عمل طرفي الحرب الباردة على مد نفوذهم إلى دول المنطقة، فالاتحاد السوفيتي من خلال ادعاءاته بدعم حركات التحرر الأفريقية ودول العالم الثالث بشكل عام تمكن من مد جسور العلاقة مع الصومال منذ عام ١٩٦٣ مستغلاً حالة النزاع الحدودي بين الصومال وأثيوبيا، إذ أمد الحكومة الصومالية بالمساعدات المالية والاقتصادية فضلاً عن اعتماد الصومال على السوفيت في بناء قوتهم العسكرية والذين لبّوا بسخاء طلبات الصومال في هذا المجال واستمروا في هذه السياسة حتى منتصف السبعينات.

أما الولايات المتحدة فكان لها تأثيرها ونفوذها على النظام السياسي الأثيوبي الذي كان يتزعمه الإمبراطور هيلاسيلاسي وكانت لها قواعدها للاتصالات في عدة مناطق من الأراضي الأثيوبية يعود تاريخها إلى عام ١٩٥٢، ومن ذلك التاريخ أمدت الولايات المتحدة أثيوبيا بمساعدات مختلفة ومن أبرزها المساعدات العسكرية. إلا أن نفوذ الدولتين العظمتين تغير بشكل جذري نتيجة لعوامل عدة من أهمها:

١- الانقلاب العسكري الذي أطاح بالإمبراطور هيلاسيلاسي عام ١٩٧٤ ووصول مجموعة ثورية (راديكالية) إلى السلطة بدت إنها تميل إلى علاقات أوثق مع الاتحاد السوفيتي، ساعد على ذلك ضعف الاهتمام الأمريكي بالتطورات السياسية في أثيوبيا وتباطئهم بتقديم العون الاقتصادي والعسكري الذي تَعوَّد الأثيوبيون الحصول عليه، مما فسح المجال إلى بدء اتصالات مصرية بين القيادة الجديدة في أديس أبابا والقيادة السوفيتية. وأشار وزير الخارجية الأمريكي سايروس فانس عام ١٩٧٧ إلى أن النظام الجديد في أثيوبيا ينتهك حقوق الإنسان لذا فإن العون العسكري لتلك الدولة سوف يتناقص.

ب- التطورات الداخلية في الولايات المتحدة الأمريكية والتي حَدَّت من حركتها في الشؤون العالمية فضلاً عن تناقص أهمية قواعد الاتصالات الأمريكية في المنطقة نتيجة للتطورات التقنية والعلمية التي سمحت باستخدام الأقمار الصناعية للحصول على المعلومات، تطور الأسلحة بعيدة المدى، فضلاً عن حالة الوفاق التي سادت العلاقات الأمريكية السوفيتية على مختلف الصُعد مما أضعف إمكانية المواجهة المباشرة على النفوذ في هذه المناطق.

ج- البرغماتية السوفيتية غير المعلنة، إذ بدأ الاتحاد السوفيتي ومنذ عام ١٩٧٧ بالتخلي عن حليفه العسكري والإيديولوجي (النظام الصومالي برئاسة محمد سياد بري) وذلك نتيجة لرغبته بكسب النظام الجديد في أثيوبيا مُعَلِلاً هذا التغيير بأن الصومال قام بالعدوان على أثيوبيا على الرغم من أن المشكلة الحدودية بين الدولتين لم تكن وليدة ذلك التاريخ وإنما تعود إلى عقود من الزمان.

المهم في الأمر أن النظام الأثيوبي الجديد بزعامة منغستو هيلا مريام تمكن من إرضاء طموحات الحكومية السوفيتية بتبني الخط الشيوعي في السلطة، والقضاء على كل الضباط الموالين للغرب. فقد تمكن مريام في شباط من عام ١٩٧٧ بمعركة وُصِفَت بالدموية التخلص من كل مناوئيه وتولي السلطة وسط ترحيب وتأييد دول الكتلة الشيوعية، الأمر الذي عُدَّ تحولاً جذرياً في خارطة التحالفات في المنطقة، وعندما نشب النزاع الحدودي بين الصومال وأثيوبيا باندفاع القوات الصومالية باتجاه إقليم الأوغادين المتنازع عليه في شباط ١٩٧٧ تحت ستار معاونة قوات (جبهة تحرير الصومال الغربي) كان السوفيت قد حسموا أمرهم في دعم أثيوبيا والتخلي عن الحليف القديم الصومال. وبالرغم من إنهم حاولوا لعب دور الوسيط في الحرب وإجبار الصومال بالانسحاب من الأراضي الأثيوبية إلا أن أصرار الحكومة الصومالية على الاستمرار بالحرب جعل الاتحاد السوفيتي يتخذ الخطوات بشكل متصاعد لدعم أثيوبيا وبدأ ذلك بانتقاد الأعلام الروسي للموقف الصومالي ووصف الحرب بأنها غزو صومالي لأراضي دولة أخرى إلا أن ذلك لم يوقف تماماً التعاون العسكري مع الصومال الأمر الذي شجَّع الرئيس الصومالي من خلال زيارته إلى موسكو محاولة كسب التأييد السوفيتي لموقفه إلا أنه فشل في مسعاه.

في تشرين الثاني من عام ١٩٧٧ وصلت العلاقات الصومالية السوفيتية إلى حالة التأزم عندما أعلن السفير السوفيتي في أثيوبيا بأن بلاده أوقفت بشكل كامل التعاون مع الصومال، في المقابل أعلنت الصومال عن طرد كافة الخبراء السوفيت وأوقفت كافة التسهيلات البحرية الممنوحة للسوفيت، وأكثر من ذلك بدأ الصومال بفتح قنوات اتصال مع الولايات المتحدة لعقد تحالفات جديدة في المنطقة.

في هذه الأثناء بدأ الاتحاد السوفيتي بإنشاء أكبر جسر جوي إلى المنطقة لنقل الأسلحة المتنوعة لدعم الموقف العسكري الأثيوبي الذي بدأ ضعيفاً في بداية الحرب إذ خسرت اثيوبيا معظم أراضي إقليم الأوغادين، وبنفس أسلوب الحرب في انغولا لم يتدخل الاتحاد السوفيتي بقواته مباشرة وإنما ترك مهمة التدخل لطرف ثالث هو كوبا. إذ وصل آلاف الجنود الكوبيين إلى أثيوبيا عن طريق الجو واشتركوا بالقتال إلى جانب القوات الأثيوبية مدعومين بسلاح الجو السوفيتي الذي بدأ بنقل المعدات الثقيلة إلى ساحة المواجهة، الأمر الذي ساعد على إزاحة القوات الصومالية عن مواقعها ولم يحل آذار من عام ١٩٧٨ حتى استعادت اثيوبيا كل أراضيها.

لقد عَمَّق تدخل الاتحاد السوفيتي بالأحداث نفوذه في أفريقيا بعد هذه الحرب وبعد الحرب الأهلية في أنغولا قابله تراجع أمريكي واضح، وكانت الحسابات السوفيتية تقوم على أن الولايات المتحدة لا يمكن أن تتدخل في المنطقة نتيجة لأوضاعها السياسية بشكل عام فضلاً عن أن الاتحاد السوفيتي كان يدَّعي أنه يقف ضد عدوان دولة على أراضي دولة أخرى مما كان مبرراً مقبولاً دولياً وافريقياً.

حاول الاتحاد السوفيتي من خلال دعمه لأثيوبيا إقامة حزام شيوعي حول المدخل الأسفل للبحر الأحمر، إذ أشار الرئيس الصومالي في إحدى مقابلاته مع جريدة الأهرام القاهرية بأن كاسترو طرح إقامة فيدرالية للدول الاشتراكية في المنطقة وهي أثيوبيا والصومال واليمن الجنوبي تكون بمثابة القاعدة المتقدمة للاتحاد السوفيتي في أفريقيا والشرق الأوسط، وكذلك المنفذ المهم للسوفيت إلى المحيط الهندي لتأمين تَفوّق استراتيجي في محاولته استثمار التراجع الأمريكي على الصعيد الدولي إلا أن هذا التفوق وتلك الانتصارات لم تمنع الولايات المتحدة من العمل بأسلوب آخر لامتصاصها سياسياً واقتصادياً وتقنياً. فضلاً عن أن الاندفاع السوفيتي للتورط في منازعات إقليمية في أفريقيا والشرق الأوسط وآسيا أدى إلى استنزاف قدراته الاقتصادية المتهالكة أصلاً ما مهد الطريق إلى الصعوبات الكبيرة على الصعيد الداخلي والخارجي أضطر معه القيادة السوفيتية إلى تَغيّر استراتيجيتها خلال عقد الثمانينات.

الحرب الأمريكية في فيتنام

أجمع المهتمون بالشأن الأمريكي أن منطقة جنوب شرق اسيا لم تمثل من الناحية الاقتصادية أهمية كبرى للولايات المتحدة مقارنة مع مناطق اخرى اكثر اهمية، كما انها لا تمثل تحدياً ملحاً من الناحية العسكرية يهدد الأراضي الأمريكية، إلا أن مع ذلك كله رمت الولايات المتحدة بكل ثقلها العسكري والسياسي والمادي في تلك المنطقة. وان التفسير المقبول لذلك هو ان الولايات المتحدة الأمريكية وجدت نفسها تنساق بشكل متصاعد في مشاكل هذه المنطقة مأخوذة بتطورات الحرب الباردة التي بدأت في عهد ترومان واستمرت في المراحل اللاحقة لاسيما في مرحلة ايزنهاور - دالس .

كما أن انتصار الشيوعيين في الصين عام ١٩٤٩ وهزيمة الاتجاه المدعوم امريكياً والمتمثل بـ (تشان كاي شك) عده الامريكيون هزيمة لهم لا يمكن قبولها في هذه المنطقة يضاف إلى ذلك أن الولايات المتحدة اعتبرت نفسها البديل او الوريث للقوى الاستعمارية السابقة كفرنسا التي خسرت مواقعها في هذه المنطقة لاسيما في فيتنام بعد مؤتمر جنيف عام ١٩٥٤، ولأنها تخشى ان يملئ الفراغ من قبل الاتحاد السوفيتي وحلفائه والذين يمثلون خطراً ليس فقط عسكرياً وانما ايديولوجياً وسياسياً واقتصادياً ، فأنها بدأت بالانغماس في مشاكل المنطقة بشكل متدرج حتى اصبحت غير قادرة على الانسحاب من المواجهة فكان (الهروب إلى الأمام) كما أن التدخل الأمريكي في المنطقة جاء منسجماً مع سياستها الرامية إلى تطويق الاتحاد السوفيتي بمجموعة من الدول التابعة أو المتحالفة مع الولايات المتحدة من اجل منعه من التحرك الاقليمي والدولي .

وفي ضوء ذلك كتب ايزنهاور إلى الحكومة البريطانية عام ١٩٥٤ يقول له: " اذا وقعت الهند الصينية في ايدي الشيوعيين فان التأثير النهائي على مواقعكم ومواقعنا الاستراتيجية العالمية سيكون كارثة نتيجة لتغيير موازين القوى اللاحق في جميع مناطق اسيا والمحيط الهندي وانا اعلم أن ذلك غير مقبول لنا ولكم) كما أشار في إحدى خطبه في نيسان ١٩٥٤ "أن سقوط الهند الصينية حسب مبدأ (احجار الدومينو) سيهدد الهند واليابان واندونسيا والفلبين".

عندما عقد مؤتمر جنيف في عام ١٩٥٤ لتسوية الأزمة الفيتنامية بين فرنسا والثوار الفيتناميين، كان الحل الذي تم التوصل اليه توفيقياً أي لم ينهى جذور المشكلة أذ انقسمت فيتنام إلى جزء شمالي يحكمه هوشي منه وهو ذا توجه شيوعي ومدعوم من قبل الاتحاد السوفيتي، والجزء الجنوبي المدعوم من قبل الولايات المتحدة والغرب بشكل كامل، وقدرت المعونات الأمريكية لنظام سايغون (الجنوبي) بـ (مليار دولار)، فضلاً عن ارسال بعثات لتدريب الجيش. لذا فان مؤتمر جنيف لم ينهي المشكلة، بل اجلها حتى عام ١٩٦٠ عندما وجد (هوشي منه) أنه استطاع أن يبني تجربة ناجحة في فيتنام الشمالية، وانه تمكن من بناء البنية التحتية الاقتصادية والعسكرية التي تؤهله للتصدي للهيمنة الأمريكية على الجزء الجنوبي من فيتنام . وانه من المؤكد أن (هوشي منه) يعلم جيداً أنه لا يتمكن وحده من القيام بذلك لولا الدعم اللامحدود الذي يقدمه السوفييت والصينيون له وان عليه ان يستغل حالة الصراع المستمر (الحرب الباردة) بين المعسكرين ليحقق بتوحيد فيتنام .

ومع حلول كانون أول ١٩٦٠ تم تشكيل جبهة التحرير الوطنية من مجموعة منظمات عسكرية شمالية وجنوبية وبدأت بالقيام بأعمال الاغتيال والخطف واعمال عسكرية مختلفة في فيتنام الجنوبية . واشار كندي عام ١٩٦١ إلى هذه الأعمال عندما ذكر ان اربعة الاف رجل من صغار المسؤولين الفيتناميين يقتلون شهرياً .

مع بداية ولاية كندي ١٩٩١ كان هناك ما يقارب (٢٠) ألف مقاتل من (الفيت كونغ) وتعني الشيوعي الفيتنامي يعملون للإطاحة بحكم (ديم) في جنوب فيتنام والعمل والأراضي الفيتنامية . فيما ارسلت الولايات المتحدة في نفس العام ما يقارب (٦٨٥) مستشاراً عسكرياً أمريكياً لدعم حكومة (ديم).

وعلى نفس المبررات التي أوردها ايزنهاور وهي الخشية من سقوط المنطقة بالتتابع بأيدي السوفييت (لعبة الدومينو) اشار كندي في ايلول عام ١٩٦٣ : "اذا سقطت فيتنام الجنوبية فان ذلك يعطي الصينيين وضعاً جغرافياً افضل وسيعطي الانطباع ان الصين والشيوعيين ستكون موجة المستقبل في جنوب شرق اسيا". وهذا ما اكد عليه ايضاً وزير الدفاع الأمريكي في آذار من عام ١٩٦٤ . وبناء على ذلك أوصى الخبراء العسكريون والسياسيون بضرورة ارسال قوات عسكرية أمريكية من اجل دعم فيتنام الجنوبية ضد محاولات ضمها إلى حكومة فيتنام الشمالية . وعند وصول جونسون إلى السلطة (بعد اغتيال كندي في ١٩٦٣) كانت الولايات المتحدة قد ارسلت اكثر من (١٥٠٠) مستشاراً عسكرياً امريكياً، لذا وجد جونسون نفسه مضطراً للاستمرار في دعم المجهود العسكري الأمريكي في فيتنام . وقد ساعدت عدة عوامل على ان يجد الأمريكيون انفسهم ووجهاً الوجه مع (الفيت كونغ) بعد أن كانوا يظهرون بمظهر الداعم لسلطات كوريا الجنوبية ومن بين هذه العوامل:

أ- تراجع شعبية (ديم) في جنوب فيتنام بسبب الأعمال الإرهابية التي قام بها ضد خصومه السياسيين والدينيين لاسيما قمعه للمظاهرات المناوئة له في عام ١٩٦٣، والتي اثارت سخط شعبي عارم تمثل بقيام الرهبان البوذيين بأحراق انفسهم امام الناس احتجاجاً على سياسة (ديم).

لذا تقرر في الولايات المتحدة العمل على تنحيته واقامة حكم عسكري بأشراف امريكي، وهكذا حصل انقلاب عسكري ضد ديم في ٢ تشرين الثاني ١٩٦٣، أدى إلى اغتياله واستلام الجنرالات العسكريين للسلطة . إلا أن هذا الانقلاب لم ينهي حالة عدم الاستقرار السياسي في فيتنام الجنوبية، بل ان الاوضاع ازدادت سوءا إلى ما يشبه الانهيار السياسي.

ب- تصاعد الأعمال العسكرية المنظمة ضد فيتام الجنوبية والقوات الأمريكية فيها والتي كانت فاعلة ومؤثرة، وتنذر باحتمال سقوط فيتنام الجنوبية تحت سيطرة (الفيت كونغ). لذلك قررت الولايات المتحدة تصعيد الموقف إلى مداه من خلال الدخول مباشرة في الحرب. إذ اشار وزير الخارجية الأمريكية في عام ١٩٦٤ بأن التزامات بلاده في فيتنام لا حدود لها ولمح إلى أن الرئيس جونسون مستعد للمجازفة في الحرب.

في صيف عام ١٩٦٤ اختلقت الولايات المتحدة مبرراً لإعلانها الحرب ضد فيتنام الشمالية عندما اتهمت السفن الحربية لهذه الدولة بأطلاق النار على السفن الحربية الأمريكية التي كانت في مياه دولية (سربت معلومات فيما بعد بأن الحادث كان مفتعلا لإيجاد المبررات الكافية لتصعيد الحرب في فيتنام). وكان ذلك كافياً لأقناع الأمريكيين والمتحالفين معهم بضرورة خوض غمار الحرب في فيتنام. اذ حصل الرئيس جونسن على تفويض من الكونغرس الأمريكي بشن الحرب وطالب (باتخاذ جميع الإجراءات اللازمة لوقف العدوان وعدم تكراره). فضلاً عن أن الشارع الامريكي تحمس للحرب عندما أظهر استفتاء جرى في امريكا في نفس الفترة أن (٨٥%) من الأمريكيين يؤيدون اجراءات الرئيس جونسون في خطواته العسكرية.

بدأت أمريكا حربها بقصف مكثف على المنشآت المدنية والعسكرية في فيتنام الشمالية، وخلال شهور عدة من اعلان امريكا الحرب كان عدد القوات الأمريكية قد تجاوز (١٠٠) الف جندي ثم تجاوز في عام ١٩٦٧ نصف مليون جندي. واستخدمت القوات الأمريكية أساليب بالغة القسوة في حربها، اذ اشارت التقارير اليومية للحرب أن الولايات المتحدة الامريكية ارتكبت جرائم حرب ومجازر من خلال استخدامها للأسلحة المحرمة دولياً كالقنابل الفسفورية والنابالم وقنابل الغاز التي ضاعفت اعداد الضحايا من الفيتناميين. إلا أن هذه القسوة البالغة لم تثن الفيتناميون من مواصلة القتال والتصميم على كسب المعركة بالرغم من التضحيات الهائلة الامر الذي دعا المخططين العسكريين الأمريكيين للمطالبة بزيادة عدد القوات وتوسيع العمليات العسكرية لتشمل دول اخرى يتخذها الفيتناميين قواعد لهم مثل كمبوديا.

في عام ١٩٦٨ وبالتحديد كانون الثاني شن الفيتناميون هجوماً كاسحاً بمناسبة رأس السنة الفيتنامية (تت) والذي مثل تحدياً كبيراً بعد سنوات عدة من القصف والتدمير الأمريكي لاسيما أن القوات الأمريكية قد جاوزت في هذه الفترة (٦٠٠) الف جندي.

مع بداية عام ١٩٦٩ كان الأمريكيون قد وصلوا إلى حد الانهاك العسكري السياسي في هذه الحرب وبدأوا بدراسة الكيفية التي يعالجون بها موقفهم، وصادف ذلك تخلي جونسون عن الرئاسة وفوز ريتشارد نيكسون بالانتخابات الأمريكية. عندما وصل نكسون إلى السلطة كانت تقارير الخسائر الأمريكية البشرية مخيفة فضلاً عن التكاليف المادية. وتشير تلك التقارير الى أن الخسائر الأمريكية خلال عام ١٩٦٩ فقط بلغت (٢٧٨) قتيل اسبوعياً، أما خسائرها المادية فقد جاوزت (٢٢) مليار دولار سنوياً لذلك اتخذ الرئيس نيكسون قراراً بتغيير الاستراتيجية العسكرية في فيتنام إلى ما أطلق عليها (فتنمة الحرب) والقاضية بتقليل الاعتماد على القوات البرية الامريكية وترك هذه المهمة لقوات فيتنام الجنوبية مع التركيز على القصف الجوي الأمريكي وضرب قواعد الفيت كونغ في دول الجوار الفيتنامي، وقد بدأ بالفعل تخفيض عدد القوات الأمريكية تدريجياً.

لاقت الحملة الأمريكية في فيتنام انتقادات واسعة في العالم فقد اعلنت فرنسا معارضتها للسياسة الأمريكية في فيتنام عندما اشار بيان الحكومة الفرنسية في١٠ / ١/ ١٩٥٦الى انها لا تتفق مع الحكومة الأمريكية في استخدام السلاح لحل المشاكل في جنوب شرق اسيا. اما المعسكر الشيوعي فقد اعلن تضامنه وتأييده لفيتنام الشمالية لصد ما اطلق عليه بالعدوان الأمريكي. وكان للدعم المادي والعسكري الأثر الكبير في الصمود الفيتنامي ضد القوة الأمريكية. اما دول عدم الانحياز فأنها اصدرت بياناً في نيسان ١٩٦٥ طالبت فيه بوجوب حل الأزمة بالطرق السلمية. اما الامم المتحدة فقد كان دورها ضعيفاً وغير مؤثر ولا يتجاوز الدعوات والرغبات بإحلال السلام.